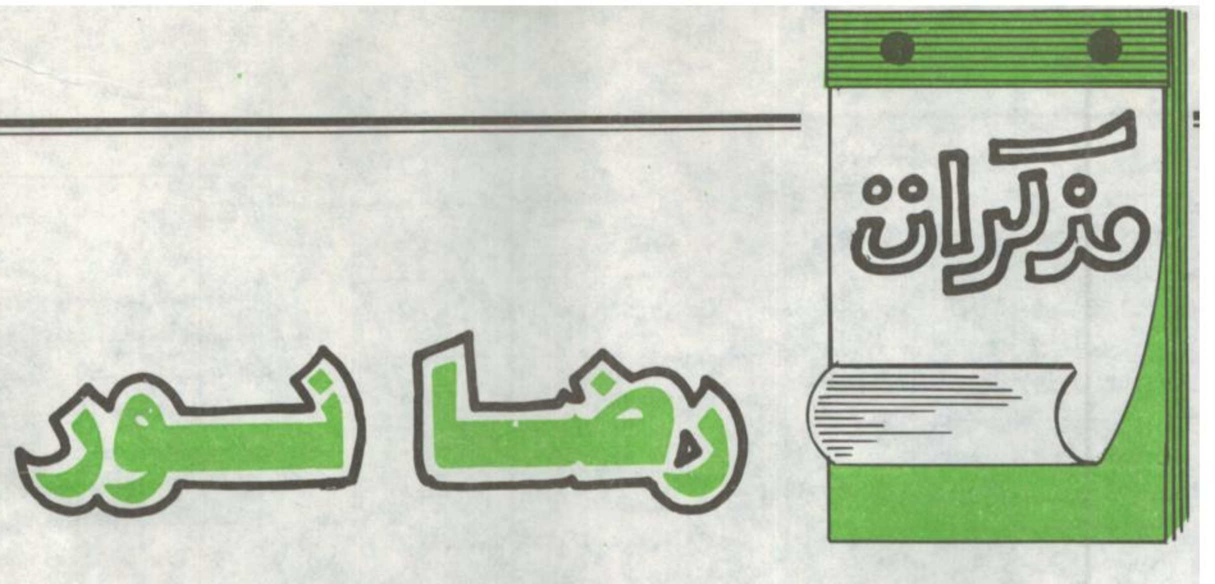




(الحلقة ٤)

ـر جمعية الاتحاد والترقي في الاخلاق

كان نائل بك النائب البرلماني لمنطقة ـمسون، وزيرا للمالية في حكومة ـتحاديين. ارسلته الحكومة الى اوروبا ـأن احدى المسائل المالية. عدت انا بعد شهر ـ هذا الى بلدي سينوب. كل الناس قالوا لي: ـائب سمسون ذهب الى اوروبا فعاد كافرا. ـثت خارج البلاد مدة طويلة وعدت بعد ـحرب العالمية (١٩١٩) الى تركيا، ثم زرت ـي سينوب.

قلت لنفسي: «انني تجاوزت نائل بك وفقته ـيرا. وعشت مع زوجتي في بلاد الكفار ـروبا) والان سيرجمني الاهالي بالاحجار». ـبت وزوجتي الى سينوب وانا خائف من ـالي، فوجدت الاهالي يحتفلون بي احتفالا ـيما. لم يقل لي احد: «انك تلبس القبعة ـ يلبسها الكفار» ولم يقل لي احد: «زوجتك ـرج الى الشارع دون ان ترتدي الحجاب». ـث هذا التطور في التفكير الشعبي خلال ـرة سنوات (من حكم الاتحاد والترقي). ـس هؤلاء الاهالي، يلبسون القبعة فوق ـسهم الآن.

واكبر دليل على هذا التغير الذي طرأ على ـاس، هو: الجامع كانت الجماعة المواظبة الصلاة في جامع علاء الدين في سينوب ـاعة ضخمة، اما الان فلا جماعة تقريبا في ـمع.

اليهود يسيطرون على جمعية الاتحاد والترقي

كنت خائفا على الاتحاديين لسرقاتهم واغتصاباتهم من ناحية، ولافساحهم المجال لليهود من ناحية اخرى. وكان وضع المجلس على هذا الشكل: ليس لأي نائب برلماني رأي ولا قوة، الأمر الناهي في المجلس البرلماني ثلاثة او اربعة اشخاص: جاويد (من يهود الدونمة) وطلعت (ماسوني) وقراصو (يهودي دونمة ايضا). واخيرا قررت الدخول في معركة معهم. وكان هذا عملا خطيرا.

مقالتي: هي الاولى ضد الاتحاديين

فكرت كثيرا. ثم كتبت مقالة ونشرتها في يني غزته، اوضحت فيها مدى استبداد الاتحاد والترقي في مجلس المبعوثان، وقلت ان لا احد من اعضائه يمتلك الارادة الحرة. قلت في مقالتي: ان هذا ليس بمجلس. انه ماكينة بسيطة لا روح فيها، تتحرك وعمود حركتها في يد رجال مثل طلعت وجاويد وجاهد. وهؤلاء الرجال قد كونوا فيما بينهم «شركة احتكارية».

كان هذا المقال قنبلة، اذ لم يكتب احد بل ولم يتكلم احد ضد الاتحاديين حتى كتابتي لهذا المقال. وبهذا اكون اول من رفع راية المعارضة في وجه الجمعية لاول مرة.

الاتحاديون يهددونني بالقتل

خرجت في يوم صدور المقال الى الشارع، واذا بي ارى بعض معارفي، وبدلا من ان يلقوا علي التحية اذ بهم يديرون وجوههم بعيدا عني ولم يحدث ان القى علي احد السلام. كلمت واحدا منهم فقال لي: «ماهذا الهذيان؟» قلت له: «لماذا؟». قال لي: هل يقول احد ماقلته انت؟ وضد من؟ ضد الجمعية المقدسة! واصلت طريقي الى المجلس. الكل يتجنبني. اصابني اليأس. قلت لنفسي: ترى هل اخطأت؟ الجو العام ضدي. معنى هذا انني اخطأت. فكرت ثانية وجدت نفسي انني على حق، في ردهة البرلمان رأني طلعت (زعيم من كبار الاتحاديين). كان وجهه مثل الطين فقد كان طلعت يبدو هكذا اذا غضب، عدل مساره وتوجه نحوي مال على اذني وقال لي: «جهز كفنك» كان هذا تهديدا فظيعا، هل الخوف لم يستول علي؟! الا، فقد خفت فعلا، لدرجة ان هواجس صورت لي ان الاتحاديين سيقتلونني فور خروجي من البرلمان. لم اعد اخرج من البيت في مساء ولا بليل. كذلك لم استقبل احدا ببيتي ومع ذلك فلم اتنازل عن افكاري ولا حركاتي. ثم اذا بالمقالات تتوالى ضد الاتحاديين. معنى هذا ان كثيرا من الناس ضد الجمعية كما صورت صحف جديدة تعارض الجمعية. كان جاهد يكتب ضدي، ويكتب يهاجمني في جريدة طنين اماصحف المعارضة فكالت لي المديح.

الجمعية ترسل جركسيا لقتلي

(كنت في سينوب). فأرسلت جمعية الاتحاد والترقي في اثري واحدا من مجموعة الفدائيين التابعين لها. كان جركسيا واسمه ممتاز. اصبح هذا الرجل فيما بعد برتبة ميرالاي. ارادت الجمعية ان تتخذ من راسم بك رئيس البلدية في سينوب وسيلة في قتلي. لكن الرجل لم يقبل. رفض واخبرني بذلك حتى أخذ حذري لم يكتف بذلك بل ارسل لي حارسا ليقوم بحراستي. لهذا السبب نفسه اصبح المفتي الشيخ حسن فهمي عدوا لراسم بك. الذي عانى (نتيجة شهامته هذه) من المشاكل لسنوات طوال. كان خوفي من الاغتيال ماثلا امامي دائما. وعشت في هذا الجو سنوات طويلة. ولم اعد أمنا دون ان احمل مسدسي. لم اجد الامان والسكينة الا عندما سكنت مصر في الحرب العالمية (الاولى) ومن بعد مصر. يعني الان ومنذ ثلاث سنوات وفي باريس.

نور على نور

هذا، وقد كان الاتحاديون يرسلون ورائي المخبرين دائما. كتبت مقالة في جريدة اقدام. كان لها دوي ضخم. لدرجة ان مراسل جريدة التايمز ارسل هذه المقالة لجريدته بالتلغراف كلفت ثلاثمائة جنيها انكليزيا ذهبا. واذا بالصحفي علي كمال (وهو احد الصحفيين والسياسيين المشهورين في ذلك العهد) يكتب مقالة في مديحي بعنوان نور على نور. وفي مجلس المبعوثان هددني رحمي السلانيكي (وهو من مشاهير الاتحاديين) بالموت. واخذ حسين جاهد، على صفحات الجرائد، يساجلني حتى سكت هو. اما ماقلته في المقالة فقد تحقق وهو ان الدولة ستغرق على يد الاتحاديين.

ازعجت هذه المقالة اعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومن معهم. التقيت في هذه الاثناء بجواد بك السينوبلي وهو من اعضاء المحكمة في سرز، وكان قد وصل استانبول. قال لي جواد بك: في سرز لجنة فدائية، قرر اعضاؤها اغتيالك ورئيسهم شكري بك يصرح بهذا علنا» (شكري بك كان مديرا للمعارف في منطقة سرز، ثم اصبح وزيرا للمعارف ثم قتله مصطفى كمال). ونظرا لانني ادرك وخامة الامر فقد كان وقع هذا الخبر الجديد - بالنسبة لي - طبيعيا.

الذين يصدرون قرارات الاغتيال

كان في منطقة سرز لجنة فدائية برئاسة شكري بك مدير المعارف هناك، وكانت هذه اللجنة تابعة لجمعية الاتحاد والترقي مهمتها تصفية اعداء الجمعية. وقتلت هذه الجمعية بالفعل رجالا كثيرين في منطقة الروملي. (وهي المنطقة الاوروبية من الدولة العثمانية) حتى ذلك الوقت كان اكثر هؤلاء الفدائيين من الملازمين بالجيش من امثال الملازم خليل (عم انور باشا وزير الحربية في عهد حكومة الاتحاد والترقي) والملازم اديب (اعدمه مصطفى كمال فيما بعد) والملازم كاظم (وهو الذي اصبح رئيس مجلس الامة التركي اثناء كتابة هذه المذكرات).

كان هؤلاء هم المنفذون لعمليات التصفية الجسدية في اعداء ثورة الاتحاد والترقي. اما الذين يصدرون قرارات الاعدام فهم: طلعت وانور والدكتور ناظم وبهاء الدين شاكر.

الغريب ان هؤلاء قد ماتوا بعد ذلك مقتولين. يقول المثل التركي: قلة الماء تنكسر في طريق الماء. وهذا مضبوط.

عهد تحكم جمعية الاتحاد والترقي
الاتحاديون واستعراضهم العبيط لقوتهم

اقترح علي بعض معارفي دخول جمعية الاتحاد من جديد قائلين لي: «كان ينبغي ألا تخرج من الجمعية، لان فتح القلعة انما يكون من داخلها، ساعتها كان يمكن ان تعدل امورا كثيرة» قال لي مثل هذا القول كثيرون، مرة: عندما خرجت من حزب الحرية والائتلاف، ومرة اخرى عندما ابتعدت عن مصطفى كمال، ان هذا التحول غير معقول، اذ انه لا يمكن في هذه الاحوال فعل شيء من الداخل.

كانت المعارضة للاتحاد والترقي تزداد يوما بعد يوم، والاستقالات - بسببهم - تكثر في البرلمان لدرجة اصبحت مدعاة لاهتمام الصحف كل يوم. وفي مقابل هجوم الصحافة على جمعية الاتحاد والترقي، قام الاتحاديون باصدار مجموعة عديدة من الصحف في كل من سلانيك ومناستر. وكانت هذه الصحف تتكلم بغرور شديد. واحدة منها كانت تشتم ملك الصرب وتقول ان الاتحاديين سيتوجهون للاستيلاء على بلغراد، كانت هذه الصحف تتحدى العالم كله. واحد من الصحافيين المعارضين كان اسمه تحسين السلاحي نسبة الى جريدته التي كان يصدرها باسم السلاح. لم يترك هذا الرجل شيئا لم يقله. واخيرا اصدر طلعت (وهو من هو في رئاسة جمعية الاتحاد) امره بقتل تحسين هذا، مع وضع جثته في جوال. السبب في ذلك ان تحسين عارض طلعت. لقد كان الاتحاديون يذبحون كل من يعارضهم، ولو كان المعارضون من رجالهم انفسهم.

الجمعية المحمدية ومجلتها البركان

ظهرت فجأة جمعية تسمى بالجمعية المحمدية. اصدرت هذه الجمعية جريدة باسم البركان. تقول هذه الجمعية ان الدين لم يعد مراعيا، ولابد من اعلان الشريعة. كان اغلب اعضاء هذه الجمعية من شيوخ الطرق الصوفية والدراويش والمثقفين الدينيين. ذاعت شهرة هذه الجمعية ولاقت رواجا ضخما ،كذلك اضحت جريدتها. ونقلت جريدة البركان هذه عنى مقالتي التي بعنوان: «ارى ان» وقامت بطبعها اكثر من عشر مرات.

تكوين حزب الاحرار

قام انصار صباح الدين بتكوين حزب الاحرار. وكنت انا معهم. في تلك الاثناء قام الاتحاديون باغتيال احد الصحفيين المعارضين لهم وهو حسن فهمي. كان شابا مثقفا ويقيم اثناء حكم عبدالحمي في مصر.

الجنود متدينون وضباطهم الشبان ملحدون

كان الجنود - مثل الشعب - متدينين

جدا. اما الضباط الشبان فقد كانوا يهملون لدين. كان بعض هؤلاء الضباط يستخدمون لورق بعد التغوط، كما انهم – اي هؤلاء لضباط – كانوا يمنعون الجنود من الذهاب لى الحمام صباحا عندما كان يتوجب على ؤلاء الجنود الغسل. كان استخدام الماء بعد لتغوط هو المعروف، كما ان الجنود اذا لم غتسل الواحد منهم، فانه لم يكن يمس الخبز لوال ذلك اليوم، و يظل الواحد منهم بالتالي جائعا (اعتقادا منهم مادامو جنبا فمن غير لستساغ مس نعمة الله). كما ان بعض لضباط كان يمارس الفاحشة والزنا في ثكناتهم ثناء قيامهم بالنوتبتجية.

ونتيجة تصرف الضباط الشبان هكذا، ستطاعت الجمعية المحمدية ان تنفذ في وساط الجنود. في هذه الاثناء كان لا تحاديون يغطون في نوم الغفلة. استطاعت جمعية المحمدية ان تنفذ خاصة الى صفوف رقة القناصة وكان على رأس هؤلاء الجاو يش حمدي. وذات يوم قال هذا الجاو يش لنفسه:

ان الاتحاديين كافرون. يفعلون كل رذيلة. انهم يعتمدون على قوتنا نحن. بدوننا لا ستطيعون عمل شيء. هيا نقتلهم ونحصل على شر يعة».

لسلطان عبدالحميد يرفض مقابلة الشاو يش حمدي

ذهب هذا الجاو يش حمدي الى القصر سلطاني ذات يوم. طلب مقابلة السلطان بدالحميد فلم يستطع. صرح هذا الجاو يش بافكاره الى احد امناء القصر السلطاني ثم الح ي طلب مقابلة السلطان على انفراد. ورفض بدالحميد، و بناء على رفض السلطان، قرر حمدي تنفيذ الامر بنفسه. وذات صباح حرض ساكره على الثورة، كانوا كلما رأوا ضباطا سرعوا باعتقاله. توسعت هذه السرعة واصبح جنود يفعلون هذا الامر بحماس. كان في ستانبول في ذلك الوقت ار بعون الف جندي. ذا بجمع غفير من الجنود يقفون امام جلس المبعوثان. كان حسين جاهد اهم ما ر يدون. وكان حسين جاهد صحافيا ماسونيا ستراكيا ملحدا. ظن الجنود ان امين ارسلان وهو درزي وعضو مجلس المبعوثان، ظنوه حسين جاهدا فقتلوه. ثم قتلوا عدة اشخاص اخر. سألهم المجلس عما ير يدون فقالوا «الشر يعة» وهذه هي ٣١ مارت المشهورة (مارت – مارس).

الاتحاديون يتهمون عبدالحميد بتدبير حادث ٣١ مارت

ادعى الاتحاديون بعد ذلك ان عبدالحميد هو الذي دبر هذه الحادثة. وهذا كذب، مسكين عبدالحميد فلم يكن له اي دخل في هذه الحادثة، حتى انني اعلم يقينا ان عبدالحميد رفض مقابلة الجاو يش حمدي.

عبدالحميد براء من هذه الحادثة، لم يدبرها ولم يشترك فيها ولم يوافق عليها، لكنه ايضا لم يتحرك ضدها. وفي هذا ايضا لم يكن يستطيع ان يضادها. لم تكن هذه وظيفته.

كيفية تكو ين جيش الحركة الذي خلع عبدالحميد

ثم مضت فترة، واذا بجيش يسمى جيش الحركة في سلانيك يتجمع و يبدأ في التحرك نحو استانبول. وكان قائد هذا الجيش هو حسني باشا. استطاع الاتحاديون الذين تجمعوا في سلانيك ان يميلوا اليهم بعض الفرق العسكر ية، اشترك مع هؤلاء في حركتهم هذه ثوري بلغاري مشهور هو «ساندانسكي» مع فرقة عسكر ية من البلغار ين، كما ان قسما هاما منهم ايضا كان من يهود الدونمة. كما جاء كل من كاظم قرة بكير (من اكبر معاوني اتاتورك فيما بعد) وعصمت (اينونو خلف اتاتورك في رئاسة جمهور ية تركيا فيما بعد) على رأس بعض الفرق، وانضما لهؤلاء في الطر يق. ووصل هذا الجيش الى ايا سانوس (وهو حي في أطراف استانبول) وهناك ولا ادري حتى الان ما السبب وما الكيفية التي اصبح بها محمود شوكت باشا قائدا لهذا الجيش.

كان عدد جيش الحركة هذا يقدر بحوالي عشرة آلاف جندي وضابط كان نصفهم نظاميا والنصف الآخر غير ذلك. ارسل لهم مجلس المبعوثان وفدا لمقابلتهم. وكنت انا عضوا في هذا الوفد. لكني لم اذهب.

وز ير الحر بية كان يستطيع منع الانقلاب

قابلت ناظم باشا وكان وز يرا للحر بية في ذلك الوقت وكانت صلتنا ببعض طيبة للغاية قلت له: ان زمام الامر بيده في هذه اللحظة الحاسمة وما عليه الا استخدام عسكره المدر بين وكانوا في حدود ار بعين الف جندي وضابط. قلت له ان يجمع هذه القوة و يقابل الجيش القادم من سلانيك وهو في حالة غير منظمة ومن السهل القضاء عليه، ثم يستدير – اي ناظم باشا – بعد ذلك الى استانبول و يخلع عبدالحميد.

كانت هذه هي فكرتي، لكن ناظم باشا قال لي انه لا يستطيع عمل هذا. كان هذا الوز ير في حالة اضطراب واضحة، وجدته انه لن يفعل شيئا. هناك امل آخر وهو جنود استانبول. عسكر استانبول يستطيع مقاومة جيش الاتحاديين ولكن هذا العسكر ينقصه الضابط والقائد. معنى هذا ان هذا العسكر اذا دخل معركة بهذا الشكل مع جيش الحركة فسيهزم هذا الجيش الذي يفتقد النظام. اذن فلا حيلة امامنا الا الهرب. توجهت انا الى الميناء ووجدت سفينة فرنسية. ركبتها اتجهت السفينة الى ميناء بيري ثم الاسكندر ية. قلت اه هذه فرصة لرؤية مصر.